رسائل دار العلم

١١



الإلحاد

أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها

بقلم
عبد الرحمن عبد الخالق

الطبعة الاولى

الدار السلفية
الكويت

دار العلم
بنها ج.م.ع

رسائل دار العلم
١١

الإلحاد

أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها

بقلم
عبد الرحمن عبد الخالق

دار العلم
بنها ج.ع.م

الدر السلفية
الكويت

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ

الناشر

الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع

عمارة حسين العمر ـ مقابل محافظة حولي

تلفون : ٥١٧٤٢٠ ـ ٥١٨٨٣٠

ص . ب : ٢٠٨٥٧ ـ صفاة ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام على عبـده ورسوله الأمين ، وكل رسل الله أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله . . . وبعد

فإن شبيبتنـا الإسـلامية باتـت نهبـا لدعوات الكفـر والإلحـاد والزندقة ، وتحولنا من أمة غازية إلى أمة مقهورة مغزوة مغلوبة على أمرها فبعد أن كنا نغزو العالم برسالة الله مخرجين الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الظلم إلى العدل ، ومـن الشرك إلى التوحيد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام إذا بنا نصبح أمة يتوطن الظلم والجهـل في ربوعهـا ، ويتفلـت أبناؤهـا من دينهـم وتراثهـم ، ويلعنـون ما مضى من أسلافهم وينتقلون إلى عقائد الكفـر والإلحـاد والـوثنية ، وقـد رأيت من واجبي حمل نصيبي من إبلاغ الدين الذي حملني الله اياه ، ونشر العلم القليل الذي هيأني الله لقبولـه وحملـه وللـه الحمد والمنة أولا وآخيرا ولاشك أن مشكلة الإلحـاد من أعظـم المشاكل التي يعاني منها شباب أمتنا وهأنذا أقـدم بفضـل اللـه

تصويراً محملا لهذه المشكلة وكيفية علاجها لعـل في هذا هداية للشاردين وتبصرة لإخواتنا المؤمنين في كيفية علاج هذه الظاهرة ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا به .

عبد الرحمن عبد الخالق

الكويت ٧ من جمادي الأول سنة ١٤٠٣ هـ
الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٨٣م

أولا : مدخل وتعريف

مدخل :

يعاني العالم المعاصر من مشكلات كثيرة فبالرغم من التقدم المادي الهائل الذي نعيش فيه والخيرات العظيمة التي وفرها العلم لحياة الإنسان ورفاهيته ، إلا أننا نعيش في ظل مشكلات رهيبة يتولد بعضها عن بعض ، ويؤثر بعضها في وجود بعض ، ومن هذه المشكلات القلق النفسي والاضطراب ، وانتشار الجريمة ، وانعدام الأخلاق والفردية والأنانية ، والظلم بكل معانيه وصوره ، والانحلال والفساد ، فالفضائح السياسية والمالية نسمع عنها كل يوم تقريبا ، ولا يكاد يخلو بلد من بلدان العالم من هذه المشكلات ، ولم يستطع تقدم الإنسان المادي أن يقضي أو يخفف من هذه المشكلات بل على العكس من ذلك كلما ارتقت حياة الانسان المادية كلما ظهرت وانتشرت هذه المشكلات .

وبالرغم من كثرة هذه المشكلات وتعددها فان أعظم هذه المشكلات وأكبرها أثرا في ظهور الفساد والاضطراب والقلق هي

مشكلة الإلحاد . فهذه المشكلة في الحقيقة هي أم المشكلات وسببها جميعا . فماذا نعني بمشكلة الإلحاد ؟ وما سبب هذه المشكلة التي أصبحت إحدى مظاهر العصر ؟ وكيف يعالج الإسلام هذه المشكلة ؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات التالية بحول الله .

ماذا نعني بكلمة الإلحاد :

نعني بالإلحاد الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد . وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط و الإلحاد اليوم ظاهرة عالمية فالعالم الغربي في أوربا وأمريكا وإن كان وارثا في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أنه ترك هذه العقيدة الآن وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فقط وأصبحت الكنيسة مجرد تراث وأثر من آثار الماضي ، ولا تشكل في حياة الناس وعقولهم إلا شيئا تافها جدا وقد أصبح « الإلحاد » هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوربية والأمريكية ويعبر عن ذلك (بالعلمانية) تارة ، و (اللادينية) تارة أخرى وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله .

وفي الشرق تقوم أكبر دولة على الإلحاد وهي الدولة الروسية التي تحمل العقيدة الشيوعية التي من بنودها رفض

الغيب كله والقول بأن الحياة مادة فقط وأن صراع الإنسان في هذه الحياة إنما هو من أجل العيش والبقاء فقط ، وأما الدول الأخرى فبالرغم من أنه كان ينتشر فيهـا أديان تقـوم على بعض العقائـد الغيبية كالهندوكية والبـوذية والـكونفشيوسية إلا أن هذه الأديان اختفت الآن تقريبا أمام مد الإلحاد الغربي والحياة العصرية .

وبالرغم من أن العالم الاسلامي مازال يتمسك نوعـا ما بالاسلام ويقر بالتوحيد ويؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أن موجة الإلحاد العارمة تطغى عليه من كل جانب ، وتشكك أبنـاءه في دينهم وعقيدتهم ويحسن بنا ونحن نجابه هذه المشكلة أن نبحث بحثا موضوعيا علميا في أسباب هذه المشكلة وكيفية علاجها .

ثانيا : أسباب مشكلة الإلحاد

منذ مائتي عام فقط لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة والانتشار ولكن في القرنين الآخيرين ظهرت عوامل كثيرة جعلت من الإلحاد والكفر بالله دينا عاما منتشرا ، ونستطيع أن نجمل أهم الأسباب في انتشار الالحاد فيما يلي

١ ــ الكنيسة الاوربية : ـ

لقد كانت الكنيسة الأوربية سببا غير مباشر أحيانا وسببا مباشرا أحيانا أخرى في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله وذلك لأن القائمين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيرا من الخرافات والخزعبلات ، وجعلوها عقائد دينية ، كرفعهم عيسى عليه السلام من مرتبة البشرية إلى الألوهية وظهور فكرة الخطيئة والصلب والخلاص وأضافوا إلى ذلك كثيرا من الخرافات الدارجة عن الأرض والكون والحياة ، وعندما بدأ عصر النهضة الأوربية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة

هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك ، ويتهمون من يعتقد بالحقائق الجديدة ويصدق بها بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقهم بالنار ، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم جزاء مخالفتهم لآراء الكنيسة . . . ولكن حركة العلم لم تتوقف واستطاع العلماء ان يقدموا كل يوم براهين جديدة على نظرياتهم العلمية وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها تهزم كل يوم هزيمة جديدة وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنوت فاندفع الناس نحو الايمان بالعلم المادي كإله جديد سيحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس ، وفتش الناش أسرار الكنيسة فهالهم ما رأوه من فساد أخلاقي بين الرهبان والراهبات وأرادوا التخلص إلى غير رجعه من السلطان الكهنوتي والقهر الزمني الذي مارسته الكنيسة ضدهم ومن الإتاوات والضرائب التي فرضتها الكنيسة على رقابهم فكان الرفض الكامل لكل المعتقدات الدينية والكراهية العامة لكل عقيدة تنادي بالإيمان بالغيب واتهام الرسل جميعا بالكذب والتدليس وهكذا برزت الموجه الأولى من موجات الإلحاد العالمي .

٢ ـ مظالم العالم الرأسمالي

ما كادت أوربا تتخلص جزئيا من سلطان الكنيسة ويكتشف الناس قوة البخار والآلة حتى تحول الناس من الزراعة إلى الصناعة ، وهرع أهل الإقطاع الى التصنيع فامتلكوا المصانع الكبيرة وحازوا الثروات الضخمة واستغلوا العمال استغلالا فاحشا وانتشرت المظالم الهائلة وظهرت الطبقات المتفاوتة من رأسماليين جشعين إلى عمال فقراء مظلومين ، وكان رؤية هذا الظلم الجديد ، ومساندة رجال الدين أو سكوتهم عنه سببا جديدا في انتشار الإلحاد والشك في وجود الله ، واتهام الدين بمساندة الظلم أو عجزة عن تقديم حل ناجح لمشكلات الإنسان على الأرض وابتدأت العقائد الدينية تنحسر انحسارا جديدا عن حياة الناس وابتدأ الناس يعملون أفكارهم في خلق عقائد تستطيع أن تحل مشكلاتهم على الأرض ، وتقنع عقولهم وعجزت الكنيسة الأوربية أيضا عن تقديم هذا العلاج للناس .

٣ ـ ظهور المذاهب الاقتصادية الالحادية :

كان العامل الثالث الذي ساعد على انتشار موجة الالحاد هو ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية وخاصة الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس (اليهودي الألماني الذي تنصر والده) فبالرغم من أن هذا المذهب ينطلق من منطلق اقتصادي ويستهدف حسب إعلان المبشرين به معالجة المظالم الرأسمالية الفردية والسيطرة على مجتمع اشتراكي يعمل فيه كل إنسان حسب طاقته ويأخذ حسب حاجته فقط ، إلا أن القائمين على هذا المذهب الاقتصادي صبغوه بالصبغة العقائدية وأعطوه أبعادا أخرى غير اقتصادية فزعموا أن الحياة التي يعيشها الناس حياة مادية فقط وأنه لايوجد روح ولا بعث ولا إله ، ولا حياة أخرى وأن الناس منذ وجدوا لا هم لهم إلا المصالح المادية وزعموا أن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليلبسوا على الفقراء ويستغلوهم وأن الأخلاق كالأمانة والعفة والصدق ما هي إلا نتاج خبيث للفكر الديني الذي يريد أن يخدم المصالح الرأسمالية ، واعتقد الشيوعيون لذلك أن الانبياء ما كانوا إلا دجالين

أرادوا بنشر أديانهم تخدير الشعوب لتستنيم للظلم والقهر وبهذا أصبح هذا المذهب الاقتصادي بفلسفته التي أطلقها على الأديان موجة جديدة من موجات الإلحاد والزندقة . ولعل هذه الموجة الجديدة التي جاءت بها الشيوعية كانت أعتى موجات الإلحاد جميعا وذلك أن الشيوعية تبنت الدفاع عن المظلومين والفقراء وهذه قضية عادلة وإنسانية في ذاتها ولذلك تبنى هؤلاء الفقراء والمظلمون وهم أغلبية الناس دائما هذه العقيدة الجديدة والدين الجديد لأنه يدافع عن مصالحهم ويتبنى قضاياهم وبالطبع أخذوا هذا الدين بفلسفته العقائدية وليس بفكره الاقتصادي فقط .

وهكذا انتشر الالحاد سريعا مع هذا المذهب الاقتصادي الجديد وكان النجاح الهائل الذي لاقته الدعوة الشيوعية بتفجير الثورة البلشفية في روسيا والاستيلاء على الحكم عاملا كاسحا في هدم الأديان ونشر الالحاد وانتقاله ليصبح عقيدة عالمية .

ولما كانت الدعوة الشيوعية ترى أن نهاية العالم الحتمية إلى الشيوعية وتدعو لذلك بل تنتهج الثورة والعنف الدموي سبيلا إلى نشر الشيوعية فإنه

سرعان ما تأجج العالم من أقصاه الى أقصاه بالثورات التي أججتها هذه العقيدة وابتدأت التحولات القسرية لشعوب بأجمعها نحو الإلحاد كما حدث في الجمهوريات الاسلامية في روسيا وكذلك في الصين وغيرها وما زال المد الإلحادي الذي تؤججه العقيدة الماركسية يمتد عبر بلدان العالم جميعها . وها هي البلدان العربية التي كانت معقلا للإسلام تغزوها العقيدة الماركسية الإلحادية في عقر دارها .

٤ ـ اقتران الإلحادية بالقوة المادية :

السبب الرابع الذي شجع الناس على الكفر بالله والانطلاق نحو الإلحاد الكامل هو اقتران القوة المادية بالإلحاد ، وذلك أن الناس رأوا أن أوربا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة الا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها . وأن دولة كروسيا لم تصبح دولة عظمى الا بعد أن أعلنت أنها دولة إلحادية ، ورأوا مع ذلك أن الدول التي ما زالت تتمسك بالدين دولا متخلفة في القوة والصناعات فظن الناس لذلك أن الالحادسبب للقوة والعلم ، وأن الدين يعني التخلف والجهل ، ولما كان للعلم المادي آثاره الظاهرة والباهرة من تيسير حياة الإنسان

على ظهر الأرض ونشر الرفاهية والرخاء فان الناس انصرفوا عن العقائد الدينية وآمنوا بالعلم المادي كإله جديد قادر على أن يذلل لهم كل الصعاب على هذه الأرض ، بل أطمعهم هذا الإله المادي ايضا في الوصول الى الكواكب الأخرى وتسخيرها في خدمة الإنسان وهكذا ساعد اقتران العلم المادي والكشوف الجديدة بالالحاد على ظن الناس أن العلم ثمرة ونتيجة للالحاد ، وكان هذا خطأ عظيما عمت بسببه موجة الإلحاد .

٥ ـ هزيمة العالم الاسلامي أمام الهجمة الأوربية :

ما كاد الأوربيون يمتلكون القوة المادية ، ويستخدمون الآلة ، ويبنون المصانع حتى اتجهوا إلى دول العالم بحثا وراء الأسواق لمنتجاتهم الصناعية ، وجلبا للمواد الخام اللازمة للصناعة . ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان أو بلا ثمن أصلا فانها استخدمت قوتها العسكرية النامية للحصول على ما تريد . ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف والفقر والضعف العسكري والسياسي ،

فإنه لم يصمد طويلا أمام الهجمة الأوربية الاستعمارية ، وكان للهزيمة العسكرية التي منى بها المسلمون أمام الغزو الأوربي أثرها البعيد في زلزلة العقائد الإسلامية ، وانحسارها أمام المد الإلحادي الذي حمله المستعمرون الاوربيون ، وطفقت الشعوب الاسلامية ، تقلد المستعمر الأوربي وتتشبه باخلاقه وعاداته ، وتدخل في عقيدته الإلحادية ظنا منها أن الاوروبيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين ، وكانت هذه خطيئة جديدة وسببا آخر أسهم في الظاهرة الإلحادية العالمية .

٦ ــ الحياة الجديدة ومباهج الحضارة :

فتح العلم المادي للناس أبوابا عظيمة من أبواب الرفاهية والترف ومغريات الحياة ، فالمراكب الفخمة من سيارات وطائرات ، وقطارات ، ووسائل الاتصال ووسائل الراحة والتسلية ، والمطاعم والمشارب الفاخرة ، والألبسة الأنيقة ، والتفنن العجيب في التلذذ بالحياة ، والجري وراء الشهوات والمغريات كل هذا فتح على الناس ألوانا لم يعهدوها من الاستمتاع بالحياة ، والانغماس في الشهوات والملذات .

ولما كان الدين بوجه عام ينهي عن الآسراف ويأمر بالقصد والاعتدال ، ويحرم الاستمتاع بالحرام كالخمر والزنا والتعري فإن الناس الذين يجهلون سر أمر الدين بذلك ظنوا أن هذه قيوداً على حريتهم ، وحجراً لملذاتهم وشهواتهم فازدادوا لذلك بعدا عن الدين ، وكراهية لمن يذكرهم بالآخرة ومن يحذرهم من نار أو يطعمهم في جنة . وبذلك أيضا ازدادت غربة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد والزندقة .

٧ ــ دوامة الحياة :

كان لانطلاق الناس الصارخ نحو العَبٍّ من الحياة والاستمتاع بكل ما أفرزته الحضارة الغربية من ملهيات ومغريات ، واقتناء كل مستطاع من وسائلها الحديثة أثره البالغ في انشغال الناس عن كل شيء حتى عن أنفسهم ، فضاعف الناس ساعات عملهم طمعا في المزيد من الأجور ولتحصيل المزيد من وسائل الراحة كالغسلات والثلاجات والسيارات ، ونحوها ، وفي سبيل ذلك أيضا انطلقت المرأة من المنزل لتشارك الرجل أعباء الحياة وتكاليفها الجديدة ، وللحصول على مزيد من الرفاهية والراحة ، وابتدأ السعار المجنون والرغبة الجامحة نحو اقتناء

مغـريات الحياة فتطلــب ذلك زيادة في الجــد والنشــاط وانشغـالا بالليل والنهـار ، وهــكذا بدأت دوامــة الحياة تطحن الانسان المعاصر وتشغله في ليله ونهاره ولا تترك له فرصة للتفكير في نفسه أو في مصيره فهو يعمل في متجرة أو مصنعه ويعـود لملهياتـه وشهواتـه ثم يعـود الى عملـه وهكذا دون أن تترك له الحياة المعاصرة وقتا للفراغ يستطيع فيه أن يفكر في حقائق الـدين ، وأن يجيب عن الاسئلـة الخالـدة التـي تتـردد داخــل كل نفس : من خلــق هذا الكون ؟ ومن خلقنا ؟ ولماذا خلقنا ؟ والى أين نسير ؟ وهل لهذا العالم نهاية ؟ وهل له من بداية ؟ ولماذا يعيش الناش متفاوتين فهـذا غنـي وهـذا فقـير ، وهـذا ظالـم ، وذاك مظلوم ، وهذا قاتل ، وذاك مقتول ؟ وفيم كل هذا ؟ بل بقيت هذه الأسئلة حائرة في أكثر النفوس وبلا جواب وذلك أن الانسان المعاصر المستهلك الذي تطحنه دوامة الحياة لا يجد وقتا للتفكير في كل هذه الأسئلة .

هذه هي الاسباب البارزة لوجود ظاهرة الالحاد وانتشارها على هذا النحو الذريع والآن كيف أثرت هذه الظاهرة في حياتنا المعاصرة وما آثارها على التحديد ؟

ثالثا : آثار الإلحاد في حياة الإنسان

ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الانسان وفي أخلاق الامم ونظام الاجتماع ، ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي : -

١ ــ القلق والصراع النفسي :

إن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي . وذلك أن داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه ، وأسئلة تتلجلج في صدره : لماذا خلقنا ؟ ومن خلقنا ؟ وإلى أين نسير ؟ وإذا كانت زحمة الحياة ، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحيانا عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة ، والبحث عن سر الحياة والكون فان الانسان يصطدم كثيرا بمواقف وهزات تحمله حملا على التفكير في هذا السؤال ، فالأمراض والكوارث ، وفقد بعض الأهل والأحبة ، والمصائب التي تصيب الانسان ولابد تفرض على الانسان أن يفكر في مصيره ومستقبله ، ولما كان الالحاد عقيدة جهلانية لأنه يقوم على افتراض عدم وجود اله ـ فانه لايقدم

شيئا يخرج هذا الانسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيرا للانسان ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوسا يخيم على النفس ويظل الالحاد عاجزا عن فهم غاية الحياة والكون ، ولا يقدم للانسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلا ولا تشفي غليلا . ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد تلك الأسئلة الخالدة في النفس يظل الانسان قلقا معذبا .

وقد كان للإنسان قديما فسحة من الوقت ليخلو بنفسه ويطالع السماء بنجومها ، والبحر بروعته وسحره ، والجبال بشموخها والصحراء بسعتها وامتدادها وروعتها . والزهر والنبات وبهجته ، وكان ذلك يفيده كثيرا في الاستدلال على الرب والاعتراف بالصانع العظيم والخالق الكريم . ولكن الانسان المعاصر أصبحت تحاصره المدينة بعمارتها الشامخة وطرقها الحديثة وأضوائها وضوضائها وملهيات الحياة ومغرياتها فتشل فكره عن التفكير في الخالق والاستدلال على الله . فيزيد هذا في حيرته وارتباكه .

وقد كان المجتمع القديم أيضا مجتمعا ساذجا فطريا يعرف الناس فيه بعضهم بعضا ويتعاونون في الملمات

ويفزع بعضهم البعض في المصائب . ولكن المجتمع الحديث مجتمع المدينة الصاخب باعد الناس بعضهم عن بعض وأصبح لكل فرد منهم همومه ومشكلاته ، وأصبح الانسان المعاصر لا يجد من يشكو اليه قلقه ومشكلاته ولا يتصور أن يجد من يمد له يد العون لو زلت قدمه وأصابته مشكلة أو فاقة وبذلك تعاظم الخوف من المستقبل والحذر من الأيام ، واهتم الناس بأنفسهم وأصبحوا حريصين ماديين يجمعون ويدخرون ولا ينفقون . ومع الخوف من المستقبل والحذر من الأيام زاد القلق والاضطراب والتوجس والتوجع . ولو كان ثمة إيماناً بالله وتصديقاً بالغيب ومعرفة بالقضاء والقدر لحلت هذه المعضلة ولكن الالحاد الذي يفترض ويزعم أن الانسان يقوم وحده في هذا الكون وأنه لا يوجد اله يقيمه ويرزقه كرس قلق الانسان وخوفه من المستقبل واتجاهه للأنانية والفردية .

٢ ـ الأنانية والفردية :

كانت النتيجة الحتمية للقلق النفسي والخوف من الأيام هي اتجاه الانسان نحو الفردية والأنانية ونعني بالانانية اتجاه الانسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم

التفكير في الآخرين ـ فالدين الذي يحث الانسان على بذل المعروف للغير والاحسان للناس ابتغاء مرضاة الله بانحساره عن حياة الانسان حل مكانه التفكير في النفس فقط وبذلك بدأ الناس في عصور الالحاد المظلمة هذه لا يأبهون بغيرهم من بني البشر وشيئا فشيئا قلت العناية بالفقراء والمحتاجين ثم بالأهل والأقربين ثم بالوالدين وأيضا بالزوجة والأولاد والمطلع على احوال المجتمع الالحادي في الغرب والشرق يرى إلى أي حد اصبح الناس ماديين أنانيين لا يهتم الفرد الا في نفسه ، ولا يهتم بالآخرين إلا بقدر ما يعود هذا على نفسه من منافع . وقد ضاعف هذه الأنانية والمادية اتجاه الناس نحو العبّ من الملذات والشهوات التي يسرتها الحضارة الحديثة وأباحتها قوانين الالحاد التي تكفر بالآخرة وتجعل حياة الانسان الخاصة ملكا له . فانطلق الناس لذلك نحو شهوات أنفسهم يستزيدون منها بقدر طاقتهم وجهودهم وأهملوا في سبيل ذلك العطف والاحسان والعناية بالآخرين .

وبذلك نشأ الانسان المادي النفعي المعاصر الذي أصبح علما ورمزا للحضارة الأوربية الالحادية التي تغزو العالم الآن .

٣ ـ فقد الوازع والنزوع إلى الإجرام :

لأن الإلحاد لا يربى الضمير ، ولا يخوف الانسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض فإن الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة . بل على العكس من ذلك فإن الإلحاد يعلم أتباعه أنهم وجدوا هكذا صدفه ولم يخلقهم خالق أو أنهم خلقوا أنفسهم وأنهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الأرض وبذلك يغلظ إحساسهم ويتنامى شعورهم بالحيوانية والانحطاط ويتجهون إلى إثبات ذواتهم بالإغراق في الشهوات والملذات ، وإذا منعتهم ظروفهم المعاشية أو القوانين الوضعية البشرية عن بلوغ غاياتهم وأهدافهم الحيوانية فإنهم يقومون بالتغلب على تلك الظروف وذلك إما بالحيلة والمكر وإما بالقوة والغلبة وفي كلا الأمرين لا يجد الانسان الملحد رادعاً داخليا يردعه لأنه لا يخاف ربا ولا يرجو حسابا . ولا يبقى أمام الملحد من وازع إلا القانون البشري أو ظروفه الواقعية وهذه أمور يمكن التغلب عليها بصورة كثيرة وخاصة في المجتمع المعاصر الذي تفنن الإنسان فيه في طرق الإجرام والتهرب من القوانين . وقد يبقى في بعض الأنفس التي تدين بالإلحاد

شيء من نداء الفطرة ومحاسبة الضمير ولكن هذا النداء الداخلي المسمى بالضمير سرعان ما يزول ويتلاشى في رحمة الحياة الراكضة وأمام مغرياتها الكثيرة .

وهذا الأثر من أعظم آثار الإلحاد في حياة الإنسان فعالمنا المعاصر هو عالم الجريمة والخوف . فكل يوم تطالعنا وسائل الإتصال من صحف وكتب واذاعة وغيرها بأخبار الجرائم البشعة التي بلغت من الحدة والعنف والشذوذ والتلذذ بتعذيب الآخرين وشرب دمائهم . والتمتع برؤية صراخهم واستغاثاتهم ـ هذا إلى حوادث السرقة والسطو والاغتصاب والقتل التي تتزايد يوما بعد يوم ـ ولعل حادثة انقطاع النور المشهورة عام ١٩٧٧م عن مدينة نيويورك حيث اكتشف الناس في الصباح أن آلاف المحلات التجارية والمخازن والبيوت قد نهبت عن آخرها وأنه اشترك في هذه السرقة الجماعية معظم الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وأعمارهم حتى رجال الشرطة أنفسهم المكلفون بالحراسة شاركوا هذا المهرجان الشائن في السرقة والسطو .

ويقدر الخبراء أنه لو استمر انقطاع النور هكذا أسبوعا واحد ولم تتدخل فرق من الجيش لخربت المدينة عن آخرها . فكيف إذا تراخى الأمن في ظل الأزمات أو

الحروب لا شك أن هذا المجتمع سيأكل بعضه بعضا . ولا شك أيضا أن هذه ثمرات حتمية من ثمار الإلحاد .

٤ ـ هدم النظام الأسري :

كان للالحاد آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان فالبعد عن الله سبحانه وتعالى لم يكن من آثار تدميره النفسية البشرية فقط وإنما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الانساني وتفكيكه وذلك أن نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحا سليما إلا إذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظام صالحه سليمة ، واذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعا لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج الإلحاد أيضا هدم النظام الأسري .

ومعلوم أن الأسرة هي الخلية الأولى في النظام الاجتماعي . وعندما فسدت البشرية فسدت الروابط الأسرية فالزوج الفاسد المنحل لابد وأن يمتد فساده الى زوجته وأولاده ، والزوجة الفاسدة التي لا تراقب الله سبحانه وتعالى ولا تخافه لابد وأن ينعكس هذه على أسرتها كلها : زوجها وأولادها ، وكذلك الابن الفاسد الذي لا يراعي حرمة لوالد أو والدة ، ولا حقا لله سبحانه وتعالى وكذلك البنت الفاسدة وهكذا ابتدأنا نسمع في ظل الالحاد

المعاصر عن انهيار عقد الـزواج الشرعـي الشريف الـذي يقصر المرأة على رجل واحد وتقيم علاقـات متوازنـة بـين الازواج ويوزع المسئولية في الأسرة توزيعـا عادلا موافقـا للفطـرة البشرية التـي خلـق اللـه عليهـا كلا من الـــذكر والانثى ، وبانهيار عقد الزواج الشرعي أصبحت علاقات الازواج علاقة متعة ومنفعة مجردة وبذلك قلت التضحيات التي لابد منها فالزوج المخلص الوفي لابـد وأن يضحـي بشيء من شهواته في سبيل أسرته ، والزوجة الوفية كذلك التي قد تضطرها ظروفها أن تعيش مع زوج فقير أو مريض وأن تكافح لخدمة غيرها وتربية أولادهـا . ولـكن في ظل العقيدة الالحادية التي لا تؤمن بالآخرة ولا بالجزاء ، فانه لم يبق ما يحمل الزوج أو الزوجة على التضحية والفداء . وكذلك الحال بالنسبة للأبناء أيضا الذي يتعلمون في ظل التوحيد أن يعبدوا الله بالاحسان الى آبائهم ، وان يجاهدوا في سبيل مرضاتهم وكفالتهم في أحوال العجز والكبر ولكن العقيدة الألحادية التي تقـوم على النفعية والمادية تنظـر الى خدمة الآخرين على أنه سخافه وغباء مادام أنه لا يحقـق نفعا قريبا . وبهذا ماتت المشاعر الجميلة والروابط الطبيعية التي كانت تمسك بزمام الأسرة وتؤلف بين قلوب أفرادها

ولم تقتصر الآثار السيئة للالحاد على هذا الفساد في

الأسرة ، بل تعدى ذلك الى أنواع عجيبة من الفساد ففي ظل الانهيار الخلفي والرغبة المجنونة في جني الملذات والركض وراء الشهوات الجنسية أصبح التمسك بعقد الزواج الشرعي نوعا من الغباء وبذلك أيقن الرجال في كثير من الأحيان أن أبناءهم الذين ولدوا على فراشهم ليسوا من ظهورهم بالضرورة وأيقن الأخوة كذلك أنهم لا ينتمون الى أب واحد وبذلك انهدمت مشاعر القربى والرحم التي لايمكن أن تنشأ الا في مجتمع نظيف طاهر . وبانهيار مشاعر القربى والرحم كالأخوة والأبوة والعمومة ونحوها انهدمت متعة عظيمة من المتع الروحية والنفسية التي لا غنى عنها للانسان وحل مكان ذلك المتع الجسدية المادية المادية البليدة وبهذا تحول الانسان شيئا فشيئا نحو الحيوانية والمادية وتفككت بذلك أيضا عروة الأرحام والقرابة بعد أن تفككت الأسرة وقيمها الجميلة . وبهذا أضحى الطلاق وهجران البيوت وخيانة الزوجية شيئا عاديا يوميا ، وأصبح الرجل يرى أصدقاء ابنته ولا يأبه لذلك بل يدفعها لهذا ، وكذلك يرى صديقات ابنه ولا يأبه لذلك لأن الناس آمنوا في ظل الالحاد أن على كل انسان أن يسلك السبيل الذي يريد ، وأن كل انسان مسئول عن نفسه فقط .

وبهذا انهدمت الخلية الأولى من خلايا المجتمع الانساني .

٥ ـ تخريب المجتمعات :

الأسرة هي الخلية الاولى من البنـاء الاجتماعـي وبفسادها لا شك يفسـد النظـام كلـه . لأن الاسرة هي المحضـن الاول للانسـان واذا فسـد الانسـان فسـدت اللبنات التي تكون هذا البناء ولابد . ولما كانـت الاسرة تقذف إلى المجتمـع كل يوم بلبنـات فاسـدة وتأتـي هذه اللبنات الفاسدة وتأخذ مكانها في الهرم الاجتماعي الكبـير فالفرد يكون مسئولا في دائرة أو حاكما أو طبيبا أو مهندسا أو مدرسا أو عامـلا . . . . وكل فرد من أفـراد المجتمـع يتعامل مع المحيطين به بالاخلاق والسلوك الذي كسبه في حياته وخاصة في مراحل نشأته الأولى في أسرتـه وهـكذا تطفح الانانية والفردية وغياب مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع المعاملات وانماط السلوك التي يمارسهـا الفـرد ، وهكذا تصبح العلاقات التي تحـكم تصرفـات الفـرد في شكل هذا المجتمـع علاقـات المنافـع المادية والمصالـح الشخصية ، وتختفي التضحية والفدائية والصبر والرغبـة في اسعاد الآخرين ونفع الناس وهـكذا تتحـول الدوائـر الحكومية والمؤسسات الخاصة وجميع أجهزة الدولة الى أن تصبح مطايا للمآرب الشخصية ، وهكذا لا يزال الناس يكتشفون في كل يوم الفساد الاداري والوظيفي واستغلال

النفوذ ، وأخذ الرشوة والتحايل على القوانين والتلاعب بأموال الدولة وكذلك الظلم والقهر .

ان المجتمع الحديث في ظل الألحاد أصبح شبيها بمجتمع الغابة الذي يحاول كل حيوان فيه أن يفترس الآخر وبهذا يلجأ الضعيف الى التخفي والخداع والنفاق ويلجأ القوي الى البطش والقسوة والعنف .

والذين يطالعون أحوال المجتمع الغربي الآن يرون الى أي حد أصبحت الجريمة عملا يوميا ، وسلوكا منظما متطورا فبالرغم من توفر الزنا والرذيلة ينتشر الاغتصاب للنساء بصورة مذهلة ، وبالرغم من توفر الفرص للعمل والانتاج نجد السطو السرقات المسلحة التي يمارسها الناس على اختلاف اعمارهم وطبقاتهم وأسنانهم ولا يكاد يمر يوم واحد حتى تقع في كل مدينة عشرات بل مئات من حوادث القتل والاجرام .

وهكذا في ظل الالحاد وعدم مراقبة الله سبحانة وتعالى وتذكر الآخرة تتحول المجتمعات إلى مستنقع آسن للرذيلة والفجور ، وتصبح الجريمة عملا يوميا ويصبح التحايل على القانون واستغلال النفوذ وظلم القادر للضعيف ونفاق الضعيف أمام القوي خلقا ودينا ومنهجا

جديدا تسير عليه المجتمعات المنحلة البعيدة عن الله سبحانه وتعالى .

٦ ـ الإجرام السياسي :

لعل أعظم آثار الإلحاد هو آثاره في السياسة العالمية ، ونظام العلاقات بين الدول . وذلك أن الاخلاق المادية الالحادية التي جعلت قلب الانسان يمتليء بالقسوة والانانية دفعت الانسان الى تطبيق هذه القسوة والانانية في مجال العلاقات السياسية العالمية أيضا . ولذلك رأينا الدولة الاستعمارية الكبرى تلجأ إلى وسائل خسيسة جدا في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها ونهب ثرواتها وبلادنا الاسلامية بوجه عام والعربية بوجه خاص هي أشقى البلاد الضعيفة بهذه السياسات المادية الالحادية فهي تقع دائما تحت التهديد بالقهر والتدخل العسكري كلما حاولت دولنا الاسلامية أن تحصل على شيء من حقوقها الضائعة أو أموالها المنهوبة . بل كلما فكرت دولنا في تطبيق الاسلام والرجوع إلى أحكامة وتشريعاته النظيفة الطاهرة ، نرى الدول الاستعمارية الكبرى تتنادى لقتل عودتنا نحو الاسلام متهمة هذا الدين بأنه رجعية تارة وانه وحشية تارة أخرى وانه يضطهد الاديان الاخرى

والاقليات تارة ثالثة ولعل في قضية البترول وسعي الدولة الاسلامية للحصول على أثمان معقولة له والاستفادة بهذه الأثمان خير دليل على السلوك الاستعماري الارهابي الاناني ضد هذه الدول الاسلامية فقد اتهمتنا الدول الاستعمارية أننا نريد تدمير الاقتصاد العالمي ، واستعباد البشرية وتدمير الحضارة وذلك لمجرد المطالبة بشيء من حقوقنا وهددت تلك الدول الاستعمارية عشرات المرات أنها ستحتل آبار النفط وتأخذه بالقوة ان عمدت دولنا إلى منبعه عن اعدائنا أو زيادة أسعاره .

وهكذا يصطلي العالم الآن بنار المادية الأنانية العالمية التي تمارسها الدول الاستعمارية الكبرى التي تقوم الآن على استعباد الشعوب ونهب خيراتها وإيقاعها فرائس للقلق والخوف والفوضى والاختلاف حتى يسهل عليهم استلاب خيراتها وسرقة ثراوتها .

ولو كان الإيمان والتوحيد وخوف الله هو المسيطر على أخلاق الذين يملكون سياسة الدول لعمت الرحمة والإحسان بين الشعوب وكانت نصرة الضعفاء وإعانة المساكين ورفع الظلم عن المظلومين هو الدين والمنهج الذي تسير عليه السياسات العالمية .

والخوف كل الخوف بعد ذلك أن يتسبب الإلحاد في تدمير العالم أجمع وذلك بعد وضع العلم الحديث في يد الانسان أسلحة تستطيع تدمير العالم أجمع .

ومن يشاهد الآن ما تلجأ إليه الدول الكبرى لتدمير الشعوب الصغيرة يجد عجبا فهذه الدول تستخدم أسلحة رهيبة جدا لذلك كالمخدرات ، والدعاية السوداء والحرب النفسية والنساء وتربية العملاء وكذلك القتل والتشريد لكل العناصر الطيبة المخلصة لأوطانها وأمتها .

وهكذا استطاع الإلحاد والبعد عن الله سبحانه وتعالى أن يحول المجتمع الانساني كله إلى مجتمع بغيض جدا يقوم على الظلم والقهر والنهب والخوف الدائم من الدمار والخراب وهذا بدوره يؤدي إلى تدمير نفس الإنسان المعاصر وهروبه الدائم من واقعه ولذلك انتشرت المخدرات والمهدآت والإغراق الجنسي ، وكذلك دفعت هذه السياسات العالمية الفرد إلى مزيد من الأنانية وحب الذات والحرص على المال بكل سبيل وطلب النجاة لنفسه فحسب ، والعيش ليومه فقط وهكذا خلق الإلحاد الدوامة المعاصرة التي تلف الإنسان في عصره الراهن عصر القلق والأنانية والإجرام والفوضى .

رابعا : كيف نعالج ظاهرة الإلحاد

بعد أن عرفنا ظاهرة الإلحاد ، وعرفنا أسبابها ، وشرحنا آثارها المدمرة في نفس الانسان ، ومجتمعه ، وفي العلاقات السياسية العالمية أيضا نأتي الآن إلى كيفية علاج هذه الظاهرة وهنا نقول أن الاسلام دين جاء لخير الانسان على هذه الارض واسعاده فيها ، وتهيئته لسكنى الجنة دار السعادة الابدية قد كفل العلاج الناجح المستأصل لهذه الظاهرة الخطيرة واليك خطوطا عريضة لكيفية علاج الاسلام لهذه الظاهرة : ـ

١ ـ الدعوة إلى توحيد الله سبحانه :ـ

جعل الاسلام دعوته تبدأ من توحيد الله سبحانه وتعالى والايمان به والاقرار أنه إله الكون وخالق الوجود وجعل الهدف الأول بل والأخير لرسالات السماوية جميعا هو اقرار هذه القضية العظيمة من قضايا الدين قال تعالى « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » وقال تعالى « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك

دين القيمة » وجعل الله سبحانه وتعالى الهدف الأول من وجود الانسان على هذه الأرض هو أن يعبد الله سبحانه وتعالى قال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وبهذا جعل الدين الاسلامي هدف الانسان على الأرض أن يعرف ربه سبحانه وتعالى ويوحده ، ويعبده وحده لا شريك له . وقد أبان الله هذه القضية وأظهرها ودلل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكا ولا ريبا لأحد فأقام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السموات والأرض والناس ما يرشد العباد إلى خالقهم العظيم ، ويدلهم على ربهم القدير سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه وأمرهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض ، وفي خلق أنفسهم ، وتعهد سبحانه أن يرى العباد من آياته في الآفاق ما يحملهم حملا على هذه القضية كما قال سبحانه وتعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

والأدلة الكونية المشاهده ليست هي الأدلة الوحيدة التي نصبها الله للدلالة عليه ، بل ان الله سبحانه وتعالى ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ومؤيدين من قبله سبحانه وتعالى بالأدلة والبراهين العظيمة على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأنه خالق الكون ، رب العالمين المستحق وحده

للعباده . ولقد أتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوصف تفصيلي بليغ لأسماء الله صفاته حتى يعظم الرب سبحانه أكمل تعظيم ويعبد على الوجه الامثل . وهكذا أصبحت الادلة السمعية التي جاءت بها الرسل مكملة ومتممة للادلة البصرية العقلية التي نصبها الله سبحانه في هذا الكون الفسيح وليس هذا فقط بل جعل الله سبحانه وتعالى شريعة الاسلام وعباداته جميعا دالة على الله داعية للتوحيد حتى يصبح المسلم في كل عمل من أعماله موحداً ذاكرا لهذه الحقيقة العظيمة والصلاة والصيام والزكاة والحج شرعت جميعها لتعرف الله وتدل عليه وتشعر المؤمن بقربه سبحانه وتعالى من عباده واطلاعه عليهم ولذلك اشترط فيها جميعا اخلاص النية لله سبحانه وتعلق القلب اثناء فعلها بالله ، وشغل اللسان وقت فعلها بذكر الله والدلالة عليه فاذا عرفنا أن المسلم يمارس الصلاة خمس مرات في كل يوم وليلة وجوبا علمنا تبعا لذلك أن المسلم لابد وأن يظل ليله ونهاره ذاكرا لربه منيبا اليه داعيا له ، وهذا كله ليظل بعيد تماما عن الإلحاد بالله والكفر به .

وهكذا أصبح الاسلام منهجا وطريقا للتوحيد والصلة الدائمة بالله سبحانه وتعالى والبعد الدائم عن الالحاد بل عن كل ما يقطع صلة العبد بربه سبحانه

وتعالى .

٢ ــ العناية بالتربية الخلقية :ـ

جعل الاسلام الهدف الدنيوي الأرضي لرسالته هو اقامة العدل في الأرض واسعاد الانسان عليها ، ولـذلك وجه الاسلام وجوه الداخلين فيه إلى العمل لخير النـاس ولذلك أوجب على المسلمين جميعـا الدعـوة اليه كما قال تعالى « ولتكن منـكم أمـة يدعـون إلى الخـير ويأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » أي لتكونوا جميعا أمة داعية إلى الخير ، وقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنون بالله) وفي سبيل دعوة الناس إلى الخير والهداية أمر الله المؤمنين بالصبر في ذلك وتحمل الأذى حتى لا ينفر الناس من هذا الدين واتخـاذ الحكمـة والموعظـة الحسنـة والجدال بالحسنى سبيلا ومنهجا ، وهكذا امتلأت قلوب المسلمين بمحبة الخير للناس ورغبـة هدايتهـم وانقاذهـم ظلمات الشرك والكفر والالحاد الى نور الهداية والاسلام .

وأمر الاسلام أتباعه أيضا بالعدل والإحسان مع كل الناس حتى مع المشركين والكافرين ، والصبر على أذاهم إن كان في هذا خيرا ومصلحة ، ورد إساءتهم والانتصار

منهم عن العدوان فقط كما قال تعالى (وقاتلـوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وأمـر سبحانـه بالعـدل مع الكافـرين حتـى مع ظلمهـم وكراهيتنا لهم كما قال سبحانه وتعالى (يأيها الذين آمنـوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنـآن قوم على أن لا تعدلوا ـ اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) وهـكذا فالاسـلام رسالـة هداية ورحمة للناس جميعا كما قال سبحانه وتعالى لنبي الاسلام نبي الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

وجاء الإسلام بعد ذلك بالبر والإحسـان والرحمـة بالوالـدين والأقربـين واليتامـى والمسـاكين وكل محتـاج ، وجعـل للجـار حقوقـا على جاره ، وللصـديق حقـا على صديقه وكذا للصاحـب والـزميل ، بل لكل مسلـم على مسلم حقوقـا كرد السـلام ، وإجابـة الدعـوة وتشـميت العاطس وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، ونهى عن ظلم المسلم واحتقاره ، وخذلانه ، وهجرانه فوق ثلاث والبيع على بيعــه ، والخطبــة على خطبتــه ، والتجسس عليه وحسـده ، وبغضـه ، وغيبتـه ، وسبـه وجعـل هذا من الفسوق والإثم الذي يعاقب فاعلـه بأشـد العقوبـات . وهكذا أصبح الإسلام رسالة إنسانية كاملـة يأمـر أتباعـه

بزرع الخير أنى وجدوا ، وفي أي مكان يكونون فيه ، ومع كل إنسان ولو كان كافرا إلا أن يكون محاربا خارجا بالسيف على المسلمين ، وأما إن كان مسالما مستأمنا أو معاهدا فقد أمرنا الله بالإحسان إليه وبره مع كفره أو فسقه وخروجه عن الإيمان .

وبهذه الروح الطيبة التي يخلقها الإسلام في نفوس أتباعه ويغرسها فيهم ينشأ المسلم الطيب القلب العلي الهمة نقي السريرة ، فإذا توجه المسلم في كل ذلك نحو ربه مراقبا لله عاملا لمرضاته ، مربدا وجهه كان أبعد الناس عن الإلحاد والكفر والزندقة ، أقرب الناس إلى ربه وخالقه ومولاه لأن أعماله وأقواله جميعا ستكون عبادة خالصة ، وسيكون قلبه دائما وأبدا متصلا بربه ذاكرا له شاكرا لأنعمه كما قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾

وهذا الإنسان الذي يتربى على الاسلام على هذا النحو لا يوجد في الأرض أطهر منه ولا أنظف ولا أطيب فهو خير ما يدب عليها كما قال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾

ومثل هذا الانسان الذي يراقب ربه عند كل نظره ، وخاطرة ، وفي كل عمل ، ويتوجه بكليته في جميع أموره نحو ربه وخالقه لاشك أنه سيكون بعد ذلك لبنة صالحة في بناء صالح وبهذا تنشأ المجتمعات النظيفة التي تتخلص من الأثرة وحب النفس ، والتنافس البغيض والإغراق في الشهوات والملذات والأنانية والفردية .

وهكذا نجد أن هدفي الرسالة الإسلامية هما :

إخلاص الدين وتوحيده وعبادته وكذلك العمل لخير الإنسانية الطيبة الطاهرة التي هي بحق البديل الصالح للنفسية الإلحادية الخبيثة المدمرة التي تعيش القلق والأنانية والإجرام على ظهر هذه الأرض .

٣ ـ التصدي لشبهات الملاحدة :ـ

الكفر كلمة تملأ الفم فقط وتجري على اللسان دون ان يكون لها نصيب من الواقع فانكار الله سبحانه وتعالى وانكار البعث والجنة والنار وأنكار الرسلات كل ذلك ليس الا كلاما وقذفا يملأ أفواه قائليه ويجري على ألسنتهم دون أن يكون له من الواقع نصيب ، ولا يملك أهل هذا الكلام الباطل لاثباته الا الجهل والجهل ليس

دليلا . . فهم يقولون لم نر ولم نسمع ولا نعقل ان يكون للكون اله مدبر ، وان يكون قد خلق الخلق لحكمة وغاية ، وأن يكون هناك بعث بعد الموت ، وان تكون جنة ونار ، والحق انهم يكابرون ولا يريدون ان يصدقوا لعلل اخرى ولا يدخل فيها انهم لم يعرفوا الحق ولم يروا الدليل ، بل لظنهم ان الحق يحول بينهم وبين ما يشتهون ، او انه يحرمهم من بعض ما يحبون ويفرض عليهم كثيرا مما يكرهون وهذه العلة هي علة السابقين في الكفر ومن سار على دربهم إلى يوم الدين كما قال تعالى ﴿ ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ فالكافر لا يملك يقينا في نفي وجود الله ووحدانيته ، وفي نفي رسالاته ولا يملك الا الظن والا فمن يملك دليلا واحدا على ان محمدا وحاشاه صلى الله عليه وسلم كاذب ، وانه عاش طيلة عمره يأمر الناس بالباطل ويوهمهم ان هناك جنة وليس الامر كذلك ، ويوهمهم ان هناك نارا وليس هذا بصحيح وانه جاهد وعانى وتحمل ما تحمل في سبيل قضية باطلة لا يؤمن بها .

الحق ان من كذب به قديما وحديثا لا يملك كما اسلفنا الا الظن والظن ليس دليلا ولا يتبع الا ما تهواه نفسه وبئس الهوى أن يكون قائدا ومرشدا والها . .

ولكن مع هذا لا يكفي الحق ان يكون حقا ليعتنقه الناس ويذعنوا له ، بل لابد للحق من حجة تدافع عنه وسلطـان يقـوم به ، والا فان الباطـل مهما كان زيفـه وخزعبلاته فانه ينتصر بالقوة أحيانا وزخرفة القول احيانا أخـرى ولا يكون ذلك بالطبـع إلا في غيبـة الحـق ، أو بجهل أهل الحق بطرق الجدال والاقناع ودحض الباطل والرد على شبهات الملحـدين ، تمامـا كما تكون صاحـب قضية عادلة أحيانا كأن يكون لك بيت ورثته كابرا عن كابر ثم يأتي آخر دخيل لا حق له بتاتا فيدعي ملكه لهذا البيت فاذا كان أقوى منك لسانا ،وأعظم حيلة ومكراً فانه يقلب حقك إلى باطل وباطله إلى حق يغـري بباطلـه من يملك بصرا وفؤاد فان الناس تحكم دائما حسب ما تسمع وهذا ما يحدث دائما في عرض قضية الاسلام والتوحيد في مقابـل قضايا الشرك والإلحاد كثيرا ما نجد وخاصة في أيامنا هذه أهل الباطل الحن بحجتهم واكثر زخرفة لباطلهم بل واكثر نشاطا وحماسا ورغبة في نشره من أهـل الحـق لحقهـم ، وهـكذا وجـد الإلحـاد طريقـه إلى النفـوس والعقـول ، فالباطل لا يقنع العقـل ، ولا يمـلأ الـروح ولـكن هالـة الكلمات التي يتزخرف بها ، وروعة الاخراج التي يخطر بها يجعل الناس يرتمون في أحضانه ويتهافتون عليه . هذا

والإلحاد إلى ذلك يهتك أستار المحرمات كلها فلا يبقى حراما الا ما لا تستطيع ان تصل اليه ، وإذا كان التوحيد يعد أهله بجنة بعد الموت فان أهل الإلحاد ودعاته يعدون من يتبعونهم في باطلهم بجنة على الأرض والنفوس الضعيفة تؤثر دائما العاجل على الاجل . هذا إلى فشل دعاة الاسلام كثيرا في بيان أن ما يحققه الاسلام على الأرض من سلام واستقرار وسعادة هي الجنة الحقيقية المستطاعة على هذه الأرض ، وأن ما يدعو اليه الإلحاد من جنة الشهوات والاهواء ما هو الا الجحيم العاجل قبل الجحيم الاجل . ولكن كما قلنا انفا انحسرت عقيدة التوحيد أمام ظلام الإلحاد لان دعاة الحق لم يكونوا على مستوى الاحداث فيقابلون كل شبهة للإلحاد بدليل من أدلة الحق . .

ليس الدليل في كل وقت كلاما

ولا أعني بتاتا أن يكون دليل الحق دائما كلاما بل الدليل قد يكون كلاما فعلا فالاسلام والتوحيد نظام عملي وعبادي واعتقادي واثبات الحق في الاسلام لايكون بمجرد الكلام فمن قال مثلا أن الاسلام يعني التخلف ويحارب العلم المادي كان الرد

الطبيعي ان يمتلك المسلمون القوة وان يتعلموا هذا العلم المادي ، وبذلك تبطل الشبهة ، ومن قال ان الاسلام لا يصلح لحياة الناس كان الرد الصحيح هو أقامة الاسلام العلمي الواقعي . وهكذا يصبح الحق حقا والباطل باطلا .

باختصار يستحيل أن نعالج ظاهرة الإلحاد المعاصرة الا إذا أقمنا دليلا للرد على كل شبهة وجعلنا العالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وأما إذا أصبحت الكتب فقط والأوراق هي الميدان الذي نحارب من خلاله فأننا ولا شك نخسر المعركة .

وهكذا يكون الرد على شبهات الإلحاد كلاما في مقابل الكلام وعملا في مقابل الأعمال ، فإذا أفرز الإلحاد انحرافا ونجاسة وانحلالا فيجب على التوحيد أن يخلق طهرا وعفافا واستقامه . وإذا كان الإلحاد يعني الظلم فإن التوحيد يعني العدل ولن نفهم العدل الا إذا كان واقعا كما اننا لا نحس بالظلم الا إذا كان واقعا . وإذا كان الاسلام كما نعتقد وهو كذلك هو الفلاح الحقيقي في الدنيا ولا أقول صالحا لحياة الناس فقط هذا الاسلام يجب أن يكون واقعا مطبقا وليس قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك .

. . وهكذا إذا استطاع المسلمون أن يملكوا لكل شبهة جوابا وأن يكون الجواب كما يرى الناس لا كما يسمعون فقط استطعنا حقا أن نقضي على ظاهرة الإلحاد . .

الفهرس

كتب للمؤلف

١ ــ القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة .
٢ ــ الأصول العلمية للدعوة السلفية .
٣ ــ الحد الفاصل بين الايمان والكفر .
٤ ــ الولاء والبراء .
٥ ــ السلفيون والأئمة الأربعة .
٦ ــ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة .
٧ ــ خطوط رئيسية لبعث الأمة الاسلامية .
٨ ــ الشورى في ظل نظام الحكم الاسلامي .
٩ ــ الطريق إلى حج مبرور .
١٠ ــ أضواء على مشكلاتنا السياسية .
١١ ــ الزواج في ظل الاسلام .
١٢ ــ الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات .
١٣ ــ منهج جديد لدراسة التوحيد .
١٤ ــ الحدود الشرعية ، كيف نطبقها ومتى ؟
١٥ ــ العقبات التي تعترض اعادة بناء الأمة الاسلامية .